طبق البيض

بقلم: ماتيلدا حليم

كان مراد شابا وسيما ، طويل القامة اسمر اللون ، بساما ، يجيد ارتداء ملابسه الى حد الاناقة ، وكان معروفا بين اصدقائه فى دنيا الأعمال بطيبة القلب وسرعة التأثر بوجه جميل أو قد ممشوق .

وكان مراد متزوجا من نجلاء التى أحبها حباجما ، وبادلته هى هذاالحب

كان يفرط فى حبها ويغدق عليهاالمال والحلى ، ولو قيل له يوما على سبيل المزاح — انها تريد الانفصال عنه لهلع فؤاده وطار لبه ، ولكنه كان يعرف انه من السهل خداعها — فكان كثيرا مايفعل ولم يترك ساقا رشيقة الا وتتبعها ولا رنت اليه ناعسة الا واستسلم لسحر عينيها .

وحدث ذات يوم مشرق جميل أن صحا مراد من نومه مليئا بحبه للحياة مغتبطا بكل ماحوله .. بالربيع ونسيمه العليل ... بحمامه الدافىء اللذيذ ... بزوجته التى تزداد فتنة وشبابا يوما عن يوم ... ثم رائحة البيض المقلى الشهى الذى وصل اليه أريجه من المطبخ وملأ ارجاء حجرة الطعام — ومن الغريب أن مرادا هذا لم يحاول مرة أن يبرر خداعه لزوجته بتلمس أخطائها أو نقد كل ماتفعل شأن الزوج المذنب — بل كان تفكيره فى هذا الصدد يأخذ اتجاها غير مألوف ، كان يقول فى نفسه كلما عاد من سهرة حمراء أو كان على وشك ارتكاب احدى حماقاته المتعددة .

« لقد كانت هيفاء رائعة فى الليلة الماضية — رائعة ! أو سأمضى الليلةوقتا طيبا مع هذه أو تلك ، ولكن عندى هنا فى بيتى امراة تصغر كل هؤلاء سنا وتفوقهن جمالاوفتنة .. تعرف مزاجى وتسهر على راحتى وتحضر بنفسها حمامى وتعنى بملابسى ومأكلى وتهتم بطبق البيض الطازج — أحب أنواع الطعام الى — انها خير زوجة — تعرف كيف تسعد زوجها ... يا للهناءة .

وجلس الى كرسيه فى حجرة المائدة يقرأ صحيفته اليومية فى انتظار زوجته ووجبة الصباح التى ذكره أريجها بشدة حاجته اليها ، وسمع وقع اقدام نجلاء فرفع راسه ورآها قادمة نحوه تتهادى فى مشيتها كاعبا حسناء ، فحياها بقوله « نعمت صباحا يازهرة حياتى ... ما اجملك اليوم وكل يوم »

فابتسمت قائلة — امفازلة قبل الافطار يا مراد ؟ لابد وانك ستتأخر الليلة فى مكتبك ؟ .

— وكيف عرفت ذلك ؟

— لم أعاشرك عشر سنوات عبثا

يا عزيزى ... ولقد علمتنى عشرتك الطويلة كيف افسر حركاتك وسكناتك

ـ انت مدهشة .

ـ نعم الست مدهشة حقا ..

هل لاحظ فى عينيها تعبيرا لم يألفه، أم هو مجرد خياله ؟ ثم عاد فقال :

ـ مرى لنا ببعض الطعام .

ـ انه آت يا عزيزى .

وتصديقا لقولها دخلت الخادم بصينية الشاى التى وضعتها أمام سيدتها ثم خرجت وعادت مرة أخرى تحمل طبقا يتألق فيه البيض الطازج المقلى وقد صعدت رائحة السمن البلدى تهنىء المعدة الخاوية بقرب اللقاء وضعته أمام سيدتها وخرجت ـ وقدمت نجلاء قدحا من الشاى لزوجها تناوله منها وجلس ينتظر وبدأت هى فى أكل نصيبها من البيض وانتظر أن يأتى دوره هو الآخر فلم يأت ، وكان من المعتاد أن يقدم له طبقه أولا ـ فسأل فى حياء :

هل سأنتظر طويلا حتى يأتى الإفطار؟

انه هنا ياعزيزى .. انظر ـ فنظر ولم ير أمامه سوى قطعتين من الخبز الجاف بينما رفعت هى على شوكتها قطعة من البيض الشهى وعضتها بأسنان قوية من اللؤلؤ الخالص .

وسكت برهة نفد بعدها صبره فقال:

ـ ولكن أين طبقى انا ؟

ـ اتقصد نصيبك من البيض ؟ .

ـ طبعا هذا ما اقصد ـ ماذا ظننت اننى اقصد ؟

وكظم غيظه فلم يتعود الخروج عن شعوره أمامها .

ـ ليس لك نصيب من البيض اليوم .. ولكنك ان شئت ـ تستطيع ان تراقبنى بينما استمتع انا بنصيبى .

ـ ماذا حدث ؟ هل هناك أزمة فى البيض أم ماذا ؟

ـ لا ـ ليست هناك أزمة فى البيض .. وكل مافى الامر هو اننى قلت للخادم بأنك لن تريد طبقا من البيض اليوم .

ـ ومن قال لك ذلك ...

وهم يدق الجرس لاستدعاء الخادم.

فقالت بسرعة قبل ان يضغط على الجرس .

لاتفعل ياعزيزى فلن يجدى ذلك فتيلا .. ساقول للخادم انك لاتريد البيض وتصر أنت على نصيبك منه فترتبك المسكينة ، وقد تنذرنا بالخروج وانت تعرف أزمة الخدم اليوم ـ كما ان الشجار أمام الخادم ليس من الكياسة فى شىء .

ـ هل هذا نوع من المزاح الثقيل ؟ أم هل هناك هدف خفى ؟

ـ انتظر قليلا ريثما أتلذذ بطعامى وهو ساخن ـ فالبيض لايؤكل وهو بارد .

فقام الى الشرفة وهو يتميز غيظا ولكنه لم يستمرىء هو الآخر الشجار على مسمع من الخدم .

واستمرت هى فى ابتلاع طعام لم تعرف له طعما فقد حانت الساعة الحاسمة ..

واخيرا قالت :

ـ مراد .. اريدان اقول لك كلمة .. عد الى مقعدك واستمع لى .

فعاد الى مقعده وهو يزمجر ـ ما السبب فى كل هذا ، وما معنى هذا التصرف ؟

قالت مصطنعة الدهشة ـ الا تعرف السبب ؟ انه انت وفيفى ودودو وميمى وصلوحة وزمرة الصديقات ثم اردفت بعد هنيهة .

هل لك صديقة باسم صلوحة يامراد؟

فقال بحدة ـ كلا ..

ـ الحمد لله .. فقد كنت اخشى ان تكون بينهن صلوحه .. اما الاخريات فلا اعتراض لى على اسمائهن .

ـ انك تهذين فلست أعرف لا فيفى ولا بيبى .

اذن من تعرف .. عدد لى اسماءهن

ـ وما علاقة ذلك بافطارى ؟

ـ كل العلاقة ... اسمع ياعزيزى ـ انا لااشك فى حبك لى وتمسكك بحبى واحترامى وانك لن تفكر فى الانفصال عنى ولكننى صراحة لااطيق ان تتقاسمك معى جمع غفير من النساء وفكرت كثيرا واخيرا اهتديت الى حل موفق وهو ان اشعرك فى كياسة ولباقة باننى اعرف كل شىء عن صديقاتك فربما ... يكون فى هذا بعض الكبح لنزواتك . الا ترى فى ذلك حلا للمشكل ..

ـ اى مشكل ؟ اننى لاافهم اطلاقا ماتقصدين .

ـ بل انت تفهم جيدا .

ومع كل ما شان هذا وافطارى ؟

ـ حاول ان تفهم ياعزيزى ـ لقد تعودنا الكياسة فى جميع معاملاتنا ـ ولن نغير من نهجنا اليوم وصدقنى اننى أخجل من ان اسالك صراحة ايرى كنت البارحة .. أو متى عدت من سهرتك .. او مع من قضيت ليلتك .. فحيائى يمنعنى ولذا صممت ان احرمك من شىء تحبه كلما شعرت بانك كنت بصحبة احدى صديقاتك .. فاذا اتاك الشاى باردا يوما ادركت ان صلوحة هى المسئولة ... واذا وجدت ثقبا فى جوربك فقد كنت مع ست ابوها ـ اما الصابون الرديء فهو جزاء ليلة مع زهرة ... وهكذا ..

افهمت الآن ؟

ـ فقال وقد جن جنونه ـ ولم اخفيت علمك بهذا قبل الآن ؟ لم ادعيت البراءة والجهل ؟

ـ ولم لم تحترمى انت زوجيتى ..؟

واضافت بعد برهة بابتسامتها الفاتنة .

ـ اشرب مابقى من الشاى وامض الى عملك .. واذا وجدت عند عودتك ان سريرك غير منظم فلا تلم الا ام الخير .

ـ ليتك تكفين عن اختيار هذه الأسماء القبيحة .

ـ ليتك تكف عن اختيار الصديقات

وشرب مابقى من الشاى واكل الخبز الجاف طائعا ـ وقبل هذا الحرمان الذى فرضته عليه زوجه نجلاء لقاء

حماقته مكرها .. ثم قام يتأهب للخروج الى عمله ـ وكاد يقول جريا على عادته

ـ ساتاخر الليلة لعمل هام ـ ولكنه غير رايه فقال « الى اللقاء هذا المساء » .

فقالت ... اتمنى لك كل التوفيق وخرج .

ووصل الى مكتبه وهو فى اشد مايكون من الغضب والهياج ولم تخفف معرفته بذنبه من حدة ثورته ضد هذه الزوجة الخبيثة التى اخفت معرفتها بأسراره طوال هذه المدة . ان فعلتها هذه شنعاء نعم ... شنعاء لاتغتفر .. لقد لعبت به ، اليست هذه خيانة زوجية ولكن ... انه هو الذى خان عهده معها وكان تأنيبها والحق يقال مهذبا

لبقا ولكن .. لا .. كان يجب ان تنتظر على الأقل حتى تمضى على صداقته الجديدة مع هيفاء ولو بضعة أسابيع . كيف يستطيع ان يفترق الآن عن هذه الارملة الطروب ذات الحيوية الجارفة والقد الممشوق والسهرات الحمراء !. لا .. ان مطلب نجلاء لمطلب ظالم حقا انها لاتفهم الرجال . هل تريد ان تستعبده ياترى .

وتذكر موعده الليلة مع هيفاء . فتناول سماعة التليفون وادار القرص فسمع صوتها مناغيا دافئا ولكنه تجلد .

ـ الو ... هيفاء . عرفت صوتى بهذه السرعة . انك ذكية ياحبيبتى . نعم .. كنت أود .. لابد ان اعتذر بل انا احبك جدا ... الليلة فقط لا .. لا .. بربك لاتسرعى ..لاتخرجى معه الليلة .. اطلاقاياحبيبتى .. انا محرج صدقينى .. اقسم لك ..

ولكنها وقرت عليه مهمة القسم والتاكيد فقد ارخت السماعة بشدة آلمت اذنه .

وظهرت انعام سكرتيرته الحسناء فجاة وتقدمت نحوه ذات الجوارب الغالية وانفرجت اساريره برهة ثم عاود التقطيب كالطفل الذى تذكر لعبة مفضلة حرم منها دون ذنب جناه .. فربتت على كتفه بعطف تعوده منها وطالما ارتاح اليه وابتسمت فى اغراء فتلطفت فى الحديث وداهنت وتملقت حلو وتجاوب عاطفى زاده اسى ومرارة بغية أن تسرى عنه كآبته فقد فهمت من علامات وجهه مافاتها سماعه على التليفون ، وعلى الرغم من علمها بانها واحده من كثيرات الا أن هذا لم يثنها عن البقاء الى جانبه وكان هو بدوره يلجأ اليها فى كل محنه العاطفية مسترشدا وقد تعددت محنه فى الايام الاخيرة وهى بفضله خبيرة فى انواع الصداقات المجدية والا فما فائدة الصداقة !

واستجاب اخيرا لحديثها ورقتها فدعاها الى تناول الغداء فى افخر مطعم بالعاصمة وقص عليها كل ما جرى بينه وبين نجلاء ثم حديثه مع هيفاء فخففت عنه الى درجة أنسته ذنبه وألمه فوجد نفسه يعود معها الى مسكنها بعد العمل حاملا الهدايا والزهور ويبالغ فى اكرامها فيصعد الى شقتها ويقبل كاسا وربما كاسين ... فلم يستطع جرح شعورها ..

وعاد الى بيته فى موعد العشاء فقابلته نجلاء كعادتها هاشة باشة ولكنه ما ان وصل الى حجرة نومه حتى وجد فراشه كومة من الملاءات والمخدات وبات ليلته فى سرير لم يعرف له راسا من عقب ، وقام فى الصباح التالى يحسب لمقابلة زوجته الف حساب .

ترى هل دفع ثمن اكرامه لانعام بسرير ظل يتخبط فيه طول ليلته ام تبقى عليه جزء من دين الأمس يصعب سداده ؟ لكن حيرته لم تطل ، فقد وجد طبق البيض الشهى على المائدة كما يحب ويشتهى ،وزوجته الى جانبه سريعة فى تلبية اوامره وقبلها مودعا ثم قال .

ـ نجلاء سأحاول جهدى ان استقيم

ـ فقالت بهدوء والابتسامة لم تفارق

شفتيها ـ انني واثقة من ذلك ياعزيزى.

وانقضت الأيام ولم يحدث ما يكدر صفو الزوجين اللهم سوى مذكر طفيف بين آن وآخر كجورب مثقوب أو صورة فى غير مكانها .

واستطاع مراد بفضل انعام أن يبتعد نهائيا عن هيفاء وغيرها فلم تكن صداقته تبدأ مع واحدة منهن حتى تتدخل انعام فى حكمة وكياسة فتعتذر لهن عن تغيبه أو اهماله بلهجة حاسمة لاتقبل التردد أو التعقيب ... فتربعت هى على عرش قلبه فى أثناء العمل واحيانا خارجه . وكانت والحق يقال أقل الصديقات مطاردة وعتابا ، وكان مراد يوازن احيانا بين قبلة من انعام وبين طبق شهى من اللحم أو الحساء ، وكانت ترجح كفة انعام احيانا فيذهب بدون اللحم والحساء .. ولكن شيئا واحدا ظل يحيره .. وهو كيف استطاعت نجلاء الوقوف على حركاته وسكناته بهذه الدقة ونسى أن المراة أم الرجل .

وهاله يوما أن وصل الى بيته بريئا من كل الهفوات فلم يجد كرسيه المفضل فى مكانه المعهود ونظرت نجلاء الى وجهه اليائس واعادت الكرسى الى مكانه بسرعة بعد أن قالت برفق .

ـ لقد أخطأت التقدير هذه المرة ياعزيزى فمعذرة .

وتكررت الهفوات من جانب نجلاء كان أهملت وضع الصابون فى حمامه أو غيرت من موضع كرسيه فشعر بالظلم يحيق به ويكتم أنفاسه فقرر الترفيه عن نفسه بسهرة حمراء مع انعام وليكن بعد ذلك مايكون . ولكنه عاد الى بيته بعد سهرته فلم يجد نقصا فى أزرار قميصه أو أى مذكر لما اقترف .

وسارت الحياة مطمئنة شطرا من الزمن وتباعدت نوبات الحرمان حتى كادت تنعدم ، وارتاح مراد الى حياته الجديدة وهدأ باله فاتخذ من انعام صديقة وحيدة واكتفى بها . ووجد الحياة سهلة وامراتين خيرا من عشرين لاسيما وأن احداهما كاتمة أسراره «انعام» والثانية زوجته «نجلاء» .

ودامت هذه الحياة الناعمة المطمئنة فترة حتى نسى مراد ماضيه ومغامراته الى أن رأى زوجته يوما تأكل خبزا جافا مع الشاى ، بينما يلتهم هو البيض الشهى بشغف وسرور فقال :

ـ ماذا حدث ؟

ـ فلم تحر جوابا .

ثم عاد فقال مداعبا .

ـ لم الحرمان ؟

فاغرورقت عيناها بالدموع وظلت تقضم لقمتها اليابسة وقام هو الى الشرفة وأخذ يجوب ببصره فى الأفق البعيد .